

---

## بكائية ... في موسم الحداد

---

دمعة مغترب على حزن وطني . ووجعي الاكبر ..  
اخوان الصفا .. الاديبين عبد الله حامد الامين ...  
وابو بكر خالد

( ١ )

خلقت لكي اقول الشعر  
تصبح حرفتي في السوق فن صناعة الكلمات  
طريق الطب مكتوب على لوحى  
لأمشي فيه رغم تعدد الطرقات  
ولدت وفي يدي قلم من الابنوس مملؤ بحبر دواة  
ومنذ الوهلة الاولى عرفت رسالة الادباء ... جنى مواسم المأساة  
وبدء علاقتي بالشعر مرثية

لطفل كان يسبح في مياه النيل .. غرق .. ومات .  
ولم اعرف له اسما ولا عنوان  
ولم أرصد ملامحه .. فكان الموت معركة لبضع ثوان

\* \* \*

ويبقى الحزن في قلبي .. وفي قلبي مع الازمان  
واكثر ما يهز الناس في شعري تعابير تلامس مرفأ الاشجان  
تصب الدمع في الاجفان  
وتوقد في صدور الناس كل مجامر الاحزان  
لان الحزن مخبوء باعماقي  
فكل حوادث الدنيا تحرك ذلك البركان  
ورغم الغربة امتدت كلهب النار... التهمت ربيع العمر  
بالنسيان

فلم تقطع وشائج ودنا المنحوت في الوجدان  
تطل سحابة سوداء للنعي الذي يأتي من السودان  
وتنهمر الدموع غزيرة كالسيل .. كالطوفان  
بكل جريدة حملت على صفحاتها نعيًا على انسان

\* \* \*

فلم يخطر بذاكرتي

ولا يوماً تخيل لي ان تحمل مفكرتي  
تواريخ لموتى مثل « عبد الله » أو « خالد » .. ذوي صلتي  
فقد قصت يد الاقدار أجنحتي

وصرت اليوم احمل بين اثنيائي .. حجاراتي ... ومقبرتي  
لكي لا يتعب الحفار .. يكفي ان يفتش بين أمتعتي  
فكانت قمة المأساة

هزنتي ... وأشبعني الأسى ألما ..  
ككي النار ... مثل المشي في الجمرات  
مشيت على سطور النعي .. كل حروفه تهتز دون ثبات  
« فعبد الله » محمول على الكرسي يعلو اطول القامات  
« وعبد الله » في محرابه الصوفي ضوء الشمع في الظلمات  
ينير بذهنه الوقاد كل محافل الندوات  
أليس تناقضاً ان ينفق الانسان نصف حياته يمشي على  
عجلات

وشم يموت تحت حوافر العجلات  
كفارس حلبة يهوى ركوب الخيل  
يخذل قدمه المهماز.. ثم يموت في لحظات  
ليس تعارضاً ان يملأ الانسان دنيانا ...  
كنهر النيل .. ثم يجف مثل روافد القنوات

\* \* \*

( ٣ )

أبا بكر اتعذرني اذا عجزت تعابيري  
وقد ملأت رؤاك البيض جدرانني ... وأوراقني .. وتصويري  
وقد جاءت بكائيتي كطعم الملح في ثغر العصافير  
مرقعة كجلباب الدراويش ... مزركشة بانماط من الالوان  
فان الحزن يسلب قدرة الانسان  
ويجعلني أدور .. أدور ..  
مثل الطائر المذبوح فقد الوعي بالدوران  
ويبقى الشعر .. والكلمات  
أتعذرني .. رفيق الدرب ..

لم نقطع من المشوار الا أول الخطوات  
وقد كنا على ميعادنا المكتوب بين بقية الصفحات  
فاين تركت لي العنوان حين أعود للاخوان والأخوات  
انا في غربتي قد صرت مثل الظل ... كالنسمات  
تحس بوقعه ريحا .. خريفيا .. فتكفي الآه .. والآهات  
أبا بكر اعذرنني فاعصابي قد ارتجت من الصدمات  
من الاهوال والنكبات  
من الاخبار ذات الوقع كالزلازل في نفسي .. بلا ميقات

\*\*\*

( ٤ )

أبا بكر أتذكر ما رويته لي من الانباء  
فلم تغير المأساة رغم تبان الأشياء  
وقد حدث الذي قد قلته صدقا ودون رياء  
فمن علمتهم بالامس صاروا صفوة الادباء  
ومن فطموا على شعري ومزقوا ثديه اشلاء

ومن قاسمتهم جهدي واخذوا منه دون عطاء  
ومن قفزوا على ظهري كقطط الغابه السوداء  
وكانوا بعض أبنائي .. تحولوا فجأة آباء  
فليس لدي غير الحزن مثل بقية الغرباء  
فلن يأتي الذي ولى ... ولن يحيا الذي قد مات  
اتعذرنى حديث القلب لا يخلو من التحليق فوق الذات  
عزائي ان فن النعي في بلدي تطور مثل فن العرض في

#### الصلوات

فاسمك كان منزويا فأصبح اكبر اللوحات  
وقدرك كان مجهولا .. فصار يضيء قرص الشمس ....  
يملاً اكبر الساحات

وبيتك كان مهجورا فكل الناس تعرفه وتقصده  
وتقضي اكثر الساعات

وسوف تنال امتارا من الارض التي قد عشت فوق جحيمها  
سنوات

ولكن نصف حجم القبر اكبر من فراغ البيت بالعشرات

\* \* \*

اتعذرني فلم اكتب اليك رساله يوما لاوصيك  
ولم أجراً لاكتب عنك حيا بعض ما فيك  
ولم اشكرك حين كتبت اروع ما تجود به معانيك  
فنحن جماعة الادباء في السودان ليست من طبيعتنا  
لنكتب عنك الا يوم ننعيك

ولن ندعوك الا حين تصمت لا تجيب الداعي  
لو جئنا نناديك

وبعد الصمت نسكب من دموع الحبر انهارا  
لنبيك ... ونبيك ... ونبيك  
اتعذرني اذا عريت شهوتنا  
فان الصدق قد يحو خطبتنا

فاني اعرف الناعين لي يوما الاقبيك  
أكاد أطالع الصحف التي يوما ستصدر حين تلقاني  
ونفس الأسطر الأولى التي جاءت بنعيك سوف تنعاني  
وسوف تقول نفس الشيء عن صدقي وايماني

وعن أدبي .. وعن شعري .. وعن حبي لوطاني  
وعن « فقدي الذي قد كانت مأساة وهزت كل سوداني »  
انا في غربتي أحيا  
واحمل بين امتعتي لفافاتي واكفاني  
واحفظ قيمة التابوت يحملني الى أهلي واخواني  
إذا ما جاء معادي  
تركت حقائبي وقطعت تذكرتي لتلقاني  
ساحكي كل ما القاه يوم لقائنا الثاني

أبو ظبي / تشرين الثاني ٧٦